بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إرواء الصادي من نمير النظام الاقتصادي

أشهر النظريات الاشتراكية "نظرية كارل ماركس في القيمة" (ح25)

الحَمْدُ للهِ الذِي شَرَعَ لِلنَّاسِ أحكَامَ الرَّشَاد، وَحَذَّرَهُم سُبُلَ الفَسَاد، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى خَيرِ هَاد، المبعُوثِ رَحمَةً لِلعِبَاد، الَّذِي جَاهَدَ فِي اللهِ حَقَّ الجِهَادِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الأَطهَارِ الأَمجَاد، الَّذِينَ طبَّقُوا نِظَامَ الإِسلامِ فِي الحُكْمِ وَالاجتِمَاعِ وَالسِّيَاسَةِ وَالاقتِصَاد، فَاجْعَلْنَا اللَّهُمَّ مَعَهُمْ، وَاحشُرْنا فِي زُمرَتِهِمْ يَومَ يَقُومُ الأَشْهَادُ يَومَ التَّنَاد، يَومَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العِبَادِ.

أيها المؤمنون:

السَّلامُ عَلَيكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ وَبَعدُ: نُتَابِعُ مَعَكُمْ سِلْسِلَةَ حَلْقَاتِ كِتَابِنا إِروَاءُ الصَّادِي مِنْ نَمِيرِ النِّظَامِ الاقتِصَادِي، وَمَعَ الحَلْقَةِ الخَامِسَةِ وَالعِشْرِينَ، نُتَابِعُ فِيهَا استِعرَاضَنَا مَا جَاءَ فِي مُقَدِّمَةِ كِتَابِ النِّظَامِ الاقتِصَادِي (صفحة 42) لِلعَالِمِ وَالمفَكِّرِ السِّيَاسِيِّ الشَّيخِ تَقِيِّ الدِّينِ النَّبهَانِيِّ، وَحَدِيثُنَا عَنْ أَشهَرِ النَّظَرِيَّاتِ الاشتِرَاكِيَّةِ: وهي "نَظَرِيَّةُ كَارلْ مَاركْس فِي القِيمَةِ".

يَقُولُ رَحِمَهُ اللهُ: وَأَشهَرُ النَّظَرِيَّاتِ الاشتِرَاكِيَّةِ وَأَكثَرُها تَأثِيرًا نَظَرِيَّاتُ كَارلْ مَاركْس الأَلمَانِيِّ، فَقَد سَادَتْ نَظَرِيَّاتُهُ العَالَمَ الاشتِرَاكِيَّ، وَقَامَ عَلَى أَسَاسِهَا الحِزْبُ الشُّيوعِيُّ، وَدَولَةُ الاتِّحَادِ السُّوفيَاتِيِّ فِي رُوسيَا، الَّتِي عَمَّرَتْ نَحْوَ سَبعِينَ سَنَةً قَبلَ أَنْ تَزُولَ مُنذُ عَقدَينِ مِنَ السِّنِينَ.

وَمِنْ أَشْهَرِ نَظَرِيَّاتِ كَارلْ مَاركْس نَظَرِيَّةُ (القِيمَةِ)، الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ عُلَمَاءِ الاقتِصَادِ الرَّأسمَالِيِّ وَهَاجَمَهُمْ بِهَا. وَذَلِكَ أَنَّ آدَمَ سمِيثْ الَّذِي يُعتَبَرُ زَعِيمَ المذهَبِ الحُرِّ فِي إِنجلْترَا وَالَّذِي يَعُتَبَرُ أيضًا وَاضِعَ أُسُسِ الاقتِصَادِ السِّيَاسِيِّ، أَيِ النِّظَامِ الاقتِصَادِيِّ الرَّأسمَالِيِّ، قَدْ عَرَّفَ القِيمَةَ فَقَالَ: "قِيمَةُ أَيَّةِ سِلْعَةٍ تَتَوقَّفُ عَلَى كَمِيَّةِ العَمَلِ المبذُولِ فِي إِنتَاجِهَا". فَقِيمَةُ السِّلعَةِ الَّتِي يَستَغرِقُ إِنتَاجُهَا سَاعَتَينِ تُعَادِلُ ضِعْفَ قِيمَةِ السِّلعَةِ الَّتِي لا يَتَطَلَّبُ إِنتَاجُهَا سِوَى سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ". وَجَاءَ بَعدَهُ رِيكَارِدُو فَحَرِصَ عَلَى أَنْ يُوَضِّحَ نَظَرِيَّةَ العَمَلِ هَذِهِ فَقَالَ فِي تَعرِيفِ القِيمَةِ: "إِنَّ مَا يُحَدِّدُ قِيمَةَ السِّلْعَةِ لَيسَ هُوَ مِقدَارُ العَمَلِ الَّذِي يُبذَلُ فِي إِنتَاجِهَا مُبَاشَرَةً فَحَسْبُ، بَلْ لا بُدَّ مِنْ أَنْ يُضَافَ إِلَيهِ العَمَلُ الَّذِي بُذِلَ فِي المَاضِي فِي إِنتَاجِ المعِدَّاتِ وَالأَدَوَاتِ الَّتِي تُستَخدَمُ فِي عَمَلِيَّةِ الإِنتَاجِ". أَيْ أَنَّ رِيكَارِدُو كَانَ يَعتَقِدُ أَنَّ قِيمَةَ السِّلعَةِ تَتَوَقَّفُ عَلَى

نَفَقَاتِ إِنتَاجِهَا. وَقَدْ رَدَّ هَذِهِ النَّفَقَاتِ إِلَى عُنصُرٍ وَاحِدٍ هُوَ العَمَلُ.

وَقَد جَاءَ كَارلْ مَاركسْ بَعدَ ذَلِكَ وَاتَّخَذَ مِنْ نَظَرِيَّةِ رِيكَاردُو هَذِه لِلقِيمَةِ عِندَ النِّظَامِ الاقتِصَادِيِّ الرَّأسمَالِيِّ سِلاحًا لِمُهَاجَمَةِ المِلكِيَّةِ الخَاصَّةِ، وَالنِّظَامِ الاقتِصَادِيِّ الرَّأسمَالِيِّ بِوَجْهٍ عَامٍّ. فَذَكَرَ أنَّ المصدَرَ الوَحِيدَ لِلقِيمَةِ هُوَ العَمَلُ المِذُولُ فِي إِنتَاجِهَا، وَأنَّ المموّلَ الرَّأسمَالِيَّ يَشتَرِي قُوَّةَ العَامِلِ بِأجْرٍ لا يَزِيدُ عَمَّا هُوَ ضَرُورِيٌّ لإِبقَائِهِ حَيًّا قَادِرًا عَلَى العَمَلِ، ثُمَّ يَستَغِلُّ هَذِهِ القُوَّةَ فِي إِنتَاجِ سِلَعٍ تَفُوقُ قِيمَتَهَا كَثِيرًا مَا يَدفَعُهُ لِلعَامِلِ.

وَقَدْ أَطلَقَ كَارلْ مَاركْس عَلَى الفَرقِ بَينَ مَا يُنتِجُهُ العَامِلُ، وَمَا يُدْفَعُ لَهُ فِعْلاً اسمَ (القِيمَةِ الفَائِضَةِ) وَقَرَّرَ أنَّهَا تُمَثِّلُ مَا يَغتَصِبُهُ المِلاكُ وَأصْحَابُ الأَعمَالِ مِنْ حُقُوقِ العُمَّالِ، بِاسمِ الرِّيعِ وَالرِّبحِ وَفَائِدَةِ رَأسِ المَالِ، الَّتِي لَمْ يَعتَرِفْ طَبعًا بِمَشرُوعِيَّتِهَا.

وَقَد رَأى كَارلْ مَاركْس أَنَّ المَذَاهِبَ الاشتِرَاكِيَّةَ الَّتِي جَاءَتْ قَبلَهُ تَعتَمِدُ فِي انتِصَارِ أفكَارِهَا عَلَى مَا فُطِرَ عَلَيهِ الإِنسَانُ مْنْ حُبِّهِ لِلعَدْلِ وَانتِصَارِهِ لِلمَظلُومِ، فَكَانَتْ تَضَعُ طُرُقًا جَدِيدَةً تَعتَقِدُ أنَّ بِالإِمكَانِ تَطبِيقُهَا عَلَى المجتَمَعِ، وَتَتَقَدَّمُ بِهَا إِلَى الحُكَّامِ وَالمتَمَوّلِينَ وَالطَّبَقَةِ المتَنَوّرَةِ تَحُثُّهُمْ عَلَى تَنفِيذِهَا. وَلَكِنَّ كَارلْ مَاركْس لَمْ يَبْنِ مَذهَبَهُ عَلَى ذَلِكَ، وَلَمْ يَسلُكِ الطُّرُقَ الَّتِي سَلَكُوهَا.

فَقَدْ بَنَى مَذهَبَهُ عَلَى أسَاسِ مَبدَأ فَلسَفِيٍّ يُعرَفُ (بِالمادِّيةِ التَّارِيخِيَّةِ) أي مَا يُسَمَّى (بِالنَّظَرِيَّةِ الدِّيَالكتِيكِيَّةِ)، وَرَأى أنَّ قِيَامَ النِّظَامِ الجَدِيدِ فِي المجتَمَعِ سَيَتِمُّ بِمُجَرَّدِ عَمَلِ القَوَانِينِ الاقتِصَادِيَّةِ، وَبِمُقتَضَى قَانُونِ التَّطَوُّرِ فِي المجتَمَعِ، مِنْ غَيرِ تَدَخُّلِ إِدَارَةِ مُتَشَرِّعٍ أو مُصلِحٍ. وَقَدْ أُطلِقَ عَلَى اشتِرَاكِيَّةِ كَارلْ مَاركسْ اسْمَ (الاشتِرَاكِيَّةِ العِلْمِيَّةِ) تَمييزًا لَهَا عَنِ الطُّرُقِ الاشتِرَاكِيَّةِ، الَّتِي تَقَدَّمَتْهَا وَالَّتِي أطْلِقَ عَلَيهَا اسْمُ (الاشتِرَاكِيَّةِ الخَيَالِيَّةِ).

وَقَبلَ أَنْ نُوَدِّعَكُمْ مُستَمِعِينَا الكِرَامَ نُذَكِّرُكُمْ بِأَبرَزِ الأفكَارِ التِي تَنَاوَلهَا مَوضُوعُنَا لِهَذَا اليَومِ:

1. أشْهَرُ نَظَرِيَّاتِ كَارلْ مَاركسْ الأَلمَانِيُّ (نَظَرِيَّةُ القِيمَةِ).
2. أَخَذَ كَارلْ مَاركسْ (نَظَرِيَّةُ القِيمَةِ) مِنْ عُلَمَاءِ الاقتِصَادِ الرَّأسمَالِيِّ وَهَاجَمَهُمْ بِهَا.
3. يُعتَبَرُ آدَمَ سمِيثْ زَعِيمَ المذهَبِ الحُرِّ، وَوَاضِعَ أسُسِ الاقتِصَادِ السِّيَاسِيِّ الرَّأسمَالِيِّ.
4. تَعرِيفُ "آدَمَ سمِيثْ" لِلقِيمَةِ: "قِيمَةُ أيَّةِ سِلْعَةٍ تَتَوقَّفُ عَلَى كَمِيَّةِ العَمَلِ المِذُولِ فِي إِنتَاجِهَا".

5. تَعرِيفُ "رِيكَارِدُو" لِلقِيمَةِ: قِيمَةُ السِّلْعَةِ لَيسَ هُوَ مِقدَارُ العَمَلِ الَّذِي يُبذَلُ فِي إِنتَاجِهَا مُبَاشَرَةً فَحَسْبُ، بَلْ لا بُدَّ مِنْ أَنْ يُضَافَ إِلَيهِ العَمَلُ الَّذِي بُذِلَ فِي المَاضِي فِي إِنتَاجِ المُعِدَّاتِ وَالأَدَوَاتِ الَّتِي تُستَخدَمُ فِي عَمَلِيَّةِ الإِنتَاجِ.
6. هَاجَمَ كَارلْ مَاركسْ المِلْكِيَّةَ الخَاصَّةَ وَالاقتِصَادَ الرَّأسمَالِيَّ بِوَجْهٍ عَامٍّ، فَقَالَ: "إِنَّ المُمَوّلَ الرَّأسمَالِيَّ يَشتَرِي قُوَّةَ العَامِلِ بِأَجْرٍ لا يَزِيدُ عَمَّا هُوَ ضَرُورِيٌّ لإِبقَائِهِ حَيًّا قَادِرًا عَلَى العَمَلِ، ثُمَّ يَستَغِلُّ هَذِهِ القُوَّةَ فِي إِنتَاجِ سِلَعٍ تَفُوقُ قِيمَتَهَا كَثِيرًا مَا يَدفَعُهُ لِلعَامِلِ".
7. بَنَى كَارلْ مَاركسْ مَذهَبَهُ عَلَى أَسَاسٍ فَلسَفِيٍّ يُعرَفُ (بِالمَادِّيَةِ التَّارِيخِيَّةِ).
8. النَّظَرِيَّةُ الدِّيَالكتِيكِيَّةُ تَعنِي أَنَّ قِيَامَ النِّظَامِ الجَدِيدِ فِي المجتَمَعِ سَيَتِمُّ بِمُجَرَّدِ عَمَلِ القَوَانِينِ الاقتِصَادِيَّةِ، وَبِمُقتَضَى قَانُونِ التَّطَوُّرِ فِي المجتَمَعِ، مِنْ غَيرِ تَدَخُّلِ إِدَارَةٍ مُتَشَرِّعٍ أو مُصلِحٍ.
9. أُطْلِقَ عَلَى اشتِرَاكِيَّةِ كَارلْ مَاركْس (الاشتِرَاكِيَّةِ العِلْمِيَّةِ) تَمِيزًا لَهَا عَنِ (الاشتِرَاكِيَّةِ الخَيَالِيَّةِ).

أيها المؤمنون:

نَكتَفِي بِهذا القَدْرِ فِي هَذِه الحَلْقة، مَوعِدُنَا مَعَكُمْ فِي الحَلْقةِ القادِمَةِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، فَإِلَى ذَلِكَ الحِينِ وَإِلَى أَنْ نَلْقَاكُمْ وَدَائِماً، نَترُكُكُم فِي عنايةِ اللهِ وحفظِهِ وأمنِهِ، سَائِلِينَ الَمولَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَن يُعزَّنا بِالإِسلام، وَأَنْ يُعزَّ الإِسلام بِنَا، وَأَن يُكرِمَنا بِنَصرِه، وَأَن يُقِرَّ أعيُنَنَا بِقِيَامِ دَولَةِ الخِلافَةِ الراشدة الثانية على منهاج النبوة فِي القَرِيبِ العَاجِلِ، وَأَن يَجعَلَنا مِن جُنُودِهَا وَشُهُودِهَا وَشُهَدَائِها، إِنهُ وَلِيُّ ذلكَ وَالقَادِرُ عَلَيهِ. نَشكُرُكُم عَلى حُسنِ استِمَاعِكُم، وَالسَّلامُ عَليكُم وَرَحمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه.